

استعدادات

طالب عبد العزيز

تاريخ الأسى



تاریخ الہندی

تاريخ الأسي

History Of Sorrow

طالب عبد العزيز

الطبعة الثانية: يونيو - حزيران، 2019 (1000 نسخة)

بيروت - لبنان

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة.

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافة نابضة بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشراكتك نسخة أصلية من هذا الكتاب ولا احترامك لحقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيًا من أجزائه بأي شكل من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتاب والمترجمين وتسمح للراشدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.



لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون: +961 1 345683 / +961 1 541980

بغداد - العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 07811005860 / 07714440520

✉ daralrafidain@yahoo.com f dar alrafidain
✉ info@daralrafidain.com Dar alrafidain
🌐 www.daralrafidain.com @daralrafidain_1

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 607 - 91 - 7

شعر

تاريخ الأسمى

طالب عبد العزيز



www.daralrafidain.com

الذين لا يصلونَ أشقائي
يربِّي صرختهم اليأسُ.
اليدُ تكتشف

تاريخ الأسي

الطاعونَ في المحبّة، سدنةُ النَّخل

الشيوخُ الصَّغار،

ذوو الجبهاتِ المنخفضة.

الَّذين حنت الصباحُ ظهورَهم

وحرثتِ خصورَهم الحبالُ،

سليلو الأنهار العميقة، وفصيحو الأنساب

بائعو الشَّهْدِ على مَرِّ الأزمنة

ضاربو الدّفوف، وحاملو المشاعل

أوّل الرتل.

* * *

المُعْتُونُ المسنُون، عازفو النايّ الحزينة

الآتونَ من كلِّ الجّهات

الذين أتخّمهم السّويقُ⁽¹⁾ دهوراً

والذين لا تفارقُ الابتسامُ وجوهَ أسيادهم

صانعو أمجادَ غيرهم..

سحبوا المراكبَ الى الشواطئِ مبكّرين،

وأقاموا لياليَ غادينَ ورائحينَ

على القناطرِ التي أنهكها الماء.

* * *

الذين ملأوا العنابر بالتمر والسمن
وغلقوا الأبواب،
وساروا بالسفائن، تظللهم غمامة الرب الرمادية
ومن أول النخل حتى آخره البحر
كانت تُسمع لهم رنة مجذافٍ واحدٍ
فيما يمشون أجسادهم نحيبٌ خفي.

* * *

الذين كتبت أسماؤهم على المباخر والمكابس،
على المجازيف، والصواري العالية.

* * *

الذين نقشت الأزمنة رسومهم
على الألواح النديّة، وظلّ الموج
يحفرُّ بها إياماً وليالي.

* * *

الذين شهدت لهم البطائح
وصرخت بأفئدتهم السفن العِملاقة
عبأوا أعمارهم (بالسلوفان)⁽²⁾
فطافت المدن والأمصار،

أكلَ الزمْنُ اِكْتافَهُم

وكانت رايتهُ قمصائهم.

المدمنونَ البَحْرَ، الذين تحفَرُ المرادي(3)

بين أضلاعهم، مكامنَ لها..

وتتنفِضُ سيقائهم كأرانبَ مطعونةٍ

إذا ساروا..

وجوههم كحيازيمِ السُّفنِ، باشطهُ ومسننهُ

أشرعُتهم حتوفُهم..

يُربُّون الكواسِجَ في مؤخراتِ المراكبِ

وعلى مَنتها، القِططُ سوداءَ، كأباريقِ الشَّاي

يكرهونَ اليابسةَ،

(ففي البحرِ أكثرُ مما ينبغي)(4)

* * *

تحتَ الأحزمةِ الحُصْرِ خناجرُهم مُفضِّضاتِ

المقابضِ..

الذينَ القموا البَحْرَ أعزَّتْهم،

وأكلت الحيتانُ حُصورَهم وفحولتْهم،

الذين تخلو منازلُهم من الأرائكِ

وأسرَّتْهم من الجريدِ(5)..

أفراحهم مؤجلة دائماً،
وبحبالهم القتبِ يربطون مجانيتهم..
إلى جانبِ السفنِ والمواشي.

* * *

لم يأكلوا لحمَ ذوبهم،
وإذا سلمت أبقارهم، سلموا من الجوع..
ينحرونَ للضيف أعلى دوابهم،
خوانهم الأرض،
والأواني من الورشن⁽⁶⁾ الثمين،
لا خمر في بيوتهم،
و في دنان الملح يخبئون المفاتيح والنقود.

* * *

سفنٌ راسيةٌ في حيطانهم،
وقراصنةٌ ازليون،
حوانيثٌ، من عاجٍ وصنُدل
وسُميريات^(Z) غريقةٌ منذ الأزل.
ومنذ أن كان السحابُ رصاصاً
كانت أبدانهم تركضُ في العراء.

* * *

في السقوفِ يعلّقونَ الثعالبَ المحنّطةَ والقنافذ.
أبوابهم على البحرِ، وأحذيتهم الرّيح...
في أتوابهم رائحةُ الماء.
وبين طياتها يكمنُ الموجُ، وتتهياً العاصفة
كثيثو الحواجبِ، يعمّونَ طيلةَ النهار
ووافرةُ أعناقهم.

* * *

السراجاُتُ معلقاُتُ في السقوفِ، ترشّحُ أحزانا وزبتا..
و من المُستأاة العريضةِ،
تصعدُ السلاحفُ مع الزائرين.
يأخذونَ قاربك كأخذهم يدك
ثم يوثقونه إلى اعزّ أشجارهم..
وعلى الدّكااتِ التي خلفها يومئُ الجُّلنار
يُحشونَ غليوتك تبغاً، أعدّ خصيما للّصّيوف.
ومهما كنتَ تعيساً، سيفُرحك التّرياقُ آخرةَ الليل.

* * *

منازلهم قريبةُ من بعضها،
وعلى الحيطانِ حكمةُ راسخةُ في الحجرِ،
(عليكم بالجماعةِ فإنّ الذئبَ

يأكل من الغنمِ القاصية) (8)

* * *

طريقٌ واحدٌ أمامَ اللصوص
فعلى البنادقِ رجالٌ نيفوا على الأمانة
لا تخمدُ فوانيسُهم..
مقابرُهم قريبةٌ من بعضها..
وعلى ضفافِ الأنهارِ التي يغمرها المدُّ، كلَّ يوم
وفي الجداولِ النائياتِ، يتناسخونَ ويكبرون
تاخذهم الصُّباحاتُ الى مضاربِ شتى
وُرجعهم الأقمارُ والخنازيرُ.
حفاةٌ إلا من ضوءٍ، أقصى الرُّوح
وعلى ظهورهم شמושٌ مُطفأة.

* * *

زاهدونَ في أعمارهم
وأيامهم أطولُ من سراويلهم، بقليل
الطاعنونَ في الموت
طاعنونَ في المحبَّة
أكلتِ الرياحُ بيارقهم.

1986

ربيع العائلة

في الصُّحى..

حين يطمئنُّ أبي إلى أريكته

وتتنصبُّ ذراعُه عل قِرنها الأسود

مثلَ ضَبِّ صَوْحَتُهُ الشَّمْسُ،

الشَّطُّ خلفه..بكوا سجهِ النابحةِ وصيَّاديه،

ومشربياتُ، اصطفقنَ خضوعاً

الى شماله، اخوتي الصَّغارُ وأمِّي

وأنا كرنفاله الغضُّ

لصقَ كتفه الأيمن،

* * *

أعلى من صوته وجبروته

شارباهُ النافرانِ يخصانني بالقُبل

أمامه عصاه الخيزران

وغصنُ من الأترجة، يمرحُ على جبهته

وحبشيانِ مُطيعانِ

يشهدانِ اجتماعَ العائلة

أسدُ من فخارٍ، ببابِ الدَّارِ

ومهزُّ من حليبِ ورز.

* * *

تحت المزاريبِ، سندیاناثُ، میتاثُ من الخوف
مفتخرا، أمامَ شجیراته وأبقاره وإمائه..
وكمَنْ يُقَلِّبُ سِيفاً أهدى الیه
كَانَ یرفَعُ عن جبینی
خصلَةً من شعری الطویل.

1989

الهايكل المضيئة

معنيُّ أنا، أكثرَ منكَ
بهذا الصَّباحِ.. أيُّها الأفقُ الأبيضُ
معنيُّ، بهذِهِ الشُّموسِ
التي تنطفئُ على رَمَلِكِ، كلَّ مساءٍ
معنيُّ أكثرَ منكِ بقطيعِ الشُّحْبِ هذا.
بإورِّكَ وشياهِكِ ورُعَاتِكِ
بالمرأةِ الحليبيَّةِ على الشرفَةِ
تكوِّرُ شعرَها إلى الخلفِ
أو تمسحُ عن وجنتيها القبلِ.

* * *

معنيُّ أنا، أكثرَ منكِ بالتَّارنجِ الأصفرِ
أيُّها الفلَّاحُ، الذي غرسته ذاتَ يومٍ
أكثرُ من مُحيِّاكِ الكالجِ.

* * *

معنيُّ أنا.. بالفِرامِلِ، تغرغرُ باردةً على الإسفلتِ
بالمركباتِ المُسرعاتِ، بالجالسِ النحيلِ قربَ النافذةِ
وهو يومئُ ثانيةً، دون أن تراه حبيبتُهُ
معنيُّ أنا، بكفِّه التي عادت خاليةً.

* * *

بهذا الظلام، معنيُّ أنا..أكثر منك أيها الحُوزيُّ
بخيولك البيض، التي ملَّت الجَري في الظهيرة
وقريبةً إلى نفسي نجواها.

* * *

معنيُّ أنا.. أيها الصيَّادُ، بشباكِك وسنَّاراتِك وصبرك
وتُفرحني أكثر منك الصباحاتُ
وكما سلاُك ملأى بالأسماك..مليئةً روعي بالحب.

* * *

معنيُّ أنا.. بالسُّفن الراسيةِ
بالخشب المنخور على الشيطان
بالأشعة المحطّمة، والكواسجِ الجائعةِ
بالنوارسِ الميِّتةِ على ألواحها.

* * *

معنيُّ أنا.. أيها البحار الشيخُ
ترجفُ السواحلُ في جسدي
وتُفزعني القواربُ الطافيةُ.. وتلويحُ العَرقي.
معنيُّ أنا.. بالبحّارة الهنود، أكثر من ذوبهم،
وأخشى على أفئدتهم من الغرق.

* * *

معنيُّ أنا بالخناجر، أكثرَ منكَ أيُّها القتيلُ،
وكما جالتُ في خاصرتِك.. جالتُ في خاصرتي.

* * *

معنيُّ أنا أيُّها القاتل.. بيدك الصِّمَاءِ هذه،
بالدمِ الأبيضِ على ثوبِك
بخنجرِك، الذي ألقيتَهُ في النَّهرِ
وكما تطاردُك الأشباحُ... يطاردني خيالك الأحمرُ.

* * *

معنيُّ أنا.. أيُّها السِّجَانُ، الذاهبُ إلى القلعة
بمفاتيحكِ الألفِ وغرفاتكِ المظلمة.
أكثرَ منكَ أيُّها الجنديُّ.. معنيُّ أنا
بزوجتِك، التي تركتها في السَّريرِ
بشعرِها، الذي سقطَ الثلجُ عليه مبكراً
بخطواتها آخِرَ الليلِ.. وقد تأخرت كثيراً..
معنيُّ أنا، ببكائها المرَّ على الأريكة.

* * *

معنيُّ أنا، أكثرَ منكَ أيُّها العُصفورُ
بشجرتكِ المحشوّةِ بالغرُوبِ

بأغصانها الطاهرة، بأجنحتك المليئة بالرفيف
أكثر منك أيها المطر، تغسل الأرضة والتمثيل،
الجنايب المطلية بالقار
تغسل الأشعة.. الشواطئ البعيدة،
والفنارات المعتمة.

* * *

معني أنا، أيها الشمعدان
بنورك الذابل على الرخام.. بتاجك الأصيل..
بالعصا المركونة تحت المنضدة
بالعبد الساهر على محضياتك
أيها الأمير.. معني أنا،
معني أنا....
بأكمامك المطرزة بالنصر.

* * *

أكثر منك، أيها الماء
معني أنا.. بأسمائك الملونة
بوعائك الرجائي اللاصف
بذباله النور على شعرك، أيها الصبي
بصليبك أيها القديس.

معنيُّ أنا.. بالغائبِ أكثرَ منكَ أيُّها الحاضر

أيُّتها الطبيعةُ الخرساءُ

بحفنةِ العشبِ على قبورِ قتلاكِ المجهولين

معنيُّ أنا

معنيُّ أنا

أكثرُ مما تقصدين.

شجن

أحتمي من غيايِكَ بهذا الشَّجْنِ
من أصابعٍ تتوعدني بالاختفاء
من عينين، أحسبني ادَّخرتهما للصَّجر
من أكفٍ ألفتُ سماءَهُما
إذُ تطيران من غضبٍ،
أو تجهران بصمتٍ مخيفٍ..
من حَصر يفاجئوني صبرُهُ
إذ تميل على بعضها الغصون
من رحيل نما في انكسار الأمل.

.....

من مشيبٍ، أمازحه
فيختفي في إمحاءِ الأصابع فيه
من غروبٍ، أقاسمه حمرة الدمع
ويقاسمني صفرة اليدين
أنا موحش وملول
كفؤاد سرير مهجور.

.....

.....

كلُّ سيأتي في أوانه : المناديلُ، للدمع
والمساءثُ، للصمت
والأكفُّ الباردة، للوداع..
النحيبُ، للشَّجن الخفيِّ
والماضي، للأيام..

* * *

تري، أيُّ بنفسجة
سيكسرني ريفُها هذا العام؟
أيُّ كتفٍ ستحملُ عني خريف الذكرى؟
أيُّ حقيبة سيقع فيها،
كلُّ هذا الألم؟

1991

أصدقاء
البكاؤون،
البكاؤون... أصدقائي..
الذين مرّت السيوفُ على أعناقهم
ولم تتركْ إلا بريقها في الأكتاف.
البكاؤون..
الذين ساروا أمامي الى المناحر
ونحيبهم في أضلاعهم
نحيبَ قطاراتٍ تائهة..

* * *

الذين، حلَّ عليهم الظلامُ، قبل الأوان
الذين، إذا ساروا تبكي الرياحُ قمصاتهم
وإذا أقاموا تصعدُ الأنهارُ
منازلها في السماء...
البكاؤون،
ذوو الصدورِ البيضِ
كالمصاحف المفتوحة،
أزهرَ عليهم الرملُ
واخضرتُ الفيافي

علقوا بثوب الأفق
وماتوا من الاختفاء....

1987

إمرؤ القيس
كلّما فكّرت في المعاول
أدرکت أني أقسى منها.
كلما رأيتُ نسرا جريحا
تحسستُ جناحيّ المكسور.
كلما تجتاحني الذئابُ
تقتلُ كلبا في روعي.

1987

العشاء الأخير

الوَرَّاقُونَ يحررونَ أقوالنا بأفواههم
ومن الشَّبَّاكِ، ذي الأعمدةِ الثلاثة
كانوا يُطلِّونَ على أعناقنا..
نحن، الذين لا مصابيح في نفوسنا..
قالوا لنا : أخرجوا،
هندِّمونا، كما ينبغي
فخرجنا، يوحدنا الظلامُ،
وعلى أسرتنا التي من الصفيح
صفٌّ طویلٌ، منكسرٌ في نصفه،
من الأحلام العريقة.

* * *

لن يبقى أحدٌ في القاعة
لذا، لن نوصي أحدا..
نقودنا في الوسائد، مع الرسائل والقبل
والشرشفُ يصبحُ أبيضَ،
لكنه، في الليل أصفر من الحمى
لم نبصر الصورَ، التي علّقناها على الحائط : النسوة الفاتناتِ والأولياءِ
المحبوبين

وكمواشي الأتراك، كنا ننحشر
في العربات المكشوفة.

* * *

كنا قد أخذنا كل شئ، إلا طفولتنا
فقد ظلت معلقةً في مسمار الحائط.
كنا نحصي أيامنا، فيطول الطريق
نستدينُ ساعاتٍ من بعضنا
نرتق بها أعمارنا..
فتصلُ بنا مرّةً إلى الليل
ومرّةً إلى الفجر..
لكنها، قلّما تصل بنا الى البيت.

* * *

ومن دريئةٍ إلى أخرى،
كانت الشظايا تؤسسُ ممالكها في أجسادنا.
الكلُّ يبحث عن ضالته..
لكن دموعاً، كثيرة، لن نلتقي بها
دموعنا، التي بين الأسرّة
يدوسُ على وردها الوراقون.

* * *

نقتلُ الأبوابَ فتتكشفُ أمتعتنا
لا لصوصَ في هذا الظلام
لكنَّ الفئران تنطُّ على الملاعق
وتقرضُ كالبرسيم الغصَّ أفراحنا.

* * *

كان خزان الماء يدمدمُ، في آخر الرتل
وفي الحفر العميقة يفرقُعُ عالياً..
كنا فزعينَ..
فزعينَ كالضوء..
بالأشيانا الراكدة..
أحدهم، يخلقُ ذقنه، بينما حقيبته تحترق
وفي الليالي القبيحة، كرهية النجوم
كان يمضي وحيداً، بين القتلى
يسرقُ مسدساً،
يزرعه في الرمل..
ويحصدهُ قبل المطر.
هكذا، يمضي الوقتُ
والقذائفُ، تتركُ سطرًا،
وتفكِّرُ في حلِّ أجسادنا

كنا نشتم بعضنا، وأصابنا على الزناد.

* * *

ستقوم مدن كثيرة...

وسترتفع المآذن عالية،

سيشيدون الحصون، منيعة

من هذا الغبار، الذي يتسلق أرواحنا

من هذه الليالي،

قولوا للوافدين اليها، وللسياح: إننا كنا في العراء..

وليس لدينا ما نستتر به أرواحنا

ؤمره، كانت أسماؤهم في أفواهنا.

* * *

في الدروب الموحلة

وفي عربات الميتين، التي تجرّها الخيول

والتي، لا تجرّها الخيول، أحيانا

كان الملح مخلوطا في التراب

ومن شقوق الخشب يشخب خيط احمر

لقد نكأوا جرحا،

بينما العربته، حدّ أذنيها في الوحل.

* * *

بعصاه المبللة بالرياح
كان يشيرُ إلى فجرٍ خلفَ التلال
وحين أصطقتِ الطرقاتُ أمامه
أمرها أن تسير...
فسارت الطرقاتُ بنا
نحن، الذين لا وقتَ لدينا للعشاء
ولا مصابيحُ في نفوسنا
وحيداً، كان يحملُ مظلةً للشظايا!

* * *

المنايا قريبةٌ من بعضها
والحراّبُ سماءٌ دانيةٌ على الرؤوس
ومن الحديد إلى الحديد
كانت الشُّعابُ تسألُ عن الذين سيسقطون أولاً.
تموتُ النجومُ
وتتذأبُ الحجارة...
وخطانا على ذات الطريق،
الأرصعةُ القديمةُ في أقدامنا
وعلى ظهورنا حيطانُ الصِّبا
وفي علبِ التَّبغِ ينحسرُ الأهلُ والأصدقاء

ملفوفينَ في أفواهنا.
وفي أكفِّنا تتقاتلُ آمالهم.
أصابُنا باردةً، تتلمسُ الجذوعَ
تقلِّبُ الحصى..
وتفتشُ في الظلامِ عن أحرفِ نبتتْ،
في اللحاءِ الجليل..
وفي عروقِ الحجرِ الميتة.

* * *

قُبَلُ الأمهاتِ في جيوبنا
ودموعهنَّ تقطرُ من أكمامنا
نحنُ، الذين ذهبنا، بعيدا
متعبينَ، نرشُ العِطرَ على حقائبنا
التي مُلئت بالفوانيس.
نمسدُّ أحزاننا، قبلَ أنْ ننام.
يقولُ البدويُّ :
كانَ صباحاً غامضاً
لقد ماتت الغاقَةُ، التي اصطادها الحرس.

* * *

حين كُنَّا نسيرُ

كنا نمسك حوائج بعضنا
وأفئدنا خضراء، من الحنين
يا لهذه القامات البهيّة، كم أرهقها الرصاصُ؟
كم أرهقها الموتُ؟
كانت القابلات يطبطنَ عليها
بعد العشاءِ الأخير.

* * *

الساعاتُ تشيخُ في شموسنا وأقمارنا
ولا يمضي الوقتُ..
كلما ابتعدنا توحشت أقدامنا
وفي كلِّ منعطفٍ، شجرةٌ تموت
وشيئا فشيئا..
كانت جيوبنا تخلو من القُبل،
وتشخُّ في أفئدتنا الأسماءُ..
وككلِّ الحيطانِ العملاقةِ
كان أصدقاؤنا يسقطون،
لكن، لا غبارَ لهم...
وفي عيوننا، التي لا لونَ لحشائشها
أفقٌ مَيِّتٌ، من رماذٍ ودمٍ

وكفَّ تومئُ تحت الأصيل..
ضفادعُ لينهُ، بينَ أفخاذنا، تموت
وتتعفن.
وعلى ظهورها زغبٌ، مقزُّرٌ، وقميء.

* * *

في الأغوار التي أصبحت وحولاً،
لم نرَ مَنْ يُمسكُ حوائجنا..
كلُّ الأصابع، التي نبتت في الصِّباحِ الأوَّل
غطَّها الجليد.

* * *

أيتها القديسة، الأرض
يا أمنا الأولى..
رفقاً بأشياننا..
كانت أسرُّتنا من الصِّفيحِ،
ولم تتسعْ كثيراً..
كنا نوسعُها أحلاماً.

1987

أمي فاطمة وكتفي بيضاء

لوحت لي ولوحت لك،

يئست من فراقِي، ويئست من فراقك

أدنتني من هجيرك

وأبعدتُك عن هجري...

كان ثوبي أبيض

وكانت أصابعك حمراء وباردة

كنت غابهُ

وكنت موحشاً وشقيّاً...

وفي أذنيك، قطاراتي وعويلُ نافذتي

أخذت بأكمامي كلَّها

رفعتني، إلى سمائك الأولى

ونثرت الدُّمى، كلَّها والغصون

فثَّثت في سامي عن عناق ليس لك

فما وجدتُ سوى ساعديك على حصري.

* * *

أوصلت ثيابي إلى المنتهى

وأيقظت أُرنبِي الدَّافئين..

إلى أين أنت ماضٍ بهذا الرداءِ الأصم؟

أهلتنني على الحرير،
أهلَّت الحريرَ عليَّ
وكعادتكِ مرصّت..
أصابك فتوري بالثدي، وأذهلك اصطباري
وكسلي...

أودى بك انحلالني في يديك
وتساقط أطري..
لماذا لم تحتملِ عُطلَ كتفي وزيببَ فمي
ولماذا لم يضربك عناقي، هكذا؟
كنت أعلم أنك لن تحتملني
لن تقوي على بكاء بنفسجة في يدي.

* * *

وطأْتُ سريري لكَّ
دستَ على مهجةٍ أسراري
وحزيناً، قطراتك على كتفي، إلى باحة الألم
كان أبي في العربة الأخيرة، ثملا
وبائداً، يسمعُ تكسُّرَ أضلعي، وسقوطَ أساوري.

* * *

تنفست من ريحي..

وتنفسُ من ربحك
وفي الصَّبَاحِ، إحلولى لكَّ طولِي
فتأملتني....

فارهةُ، أنا، وملءُ سريرك،

مثلُ خاتمك خاتم أبي

أبيضُ وعقيق،

وأُمِّي فاطمة..

وعلى رأسِ أخوتي، كانت تخفق الرايات..

* * *

كوّرت يدي، ثم توّسدتها

أرقت الثُّورَ على جسدي، فتمطّئي فراشي

بماءِ الثُّور...

أبنوسُ رطبُ، يسيلُ على خافقي السَّرير

كان شرشفي باردا

وكذلك فمي، زهرة القرع الميتة

لذا ألقى فرحي على الشبّاك

لتأكله العصافير.

ومثلَ حملٍ خديجٍ

كنتَ تدسُّ نحيبك في صدري.

* * *

تحملتُ إفراطك، وتحملتُ يأسِي
وكما أوصاني أبي :
كنتُ دافئةً في مضجعتك، طيبةً لك
ودوداً، ولوداً، أحسنتُ الليلَ
وأطلتُ العناق...
وملأتُ بيتك بالصَّفيرِ.
ما تكلمتُ في بيتٍ، فيه سِراجُ
مكتوبٌ على نحري: أحبك..

* * *

أرختُ أطري، فتبعثرتُ بين يديك
وفرسخاً، فرسخاً، تأتي على أديمي بالقبْل
وقد استعجلتُ كثيراً..
فانكسرتُ جرَّتكَ..
ونفقتُ شياهُك..
ثم، انطفأتُ إلى الحائطِ
لا بأسَ ستكونُ لك جرّةً أخرى.

* * *

فرقتُ شعري على ليلك، كي لا يبقى

ليلك أسودا..

ورسمتُ سهوباً على كتفيك

قاسيةً مخالبي، وتفزعني هداةُ النّمر

* * *

ألقيتُ شحمةً زندي إليك

هيا، أيا المتوحش، قبلَ قليل

يا فحلي الخجول،

أيها الرعد الميث..

إنّ فرحي بك لقصير..

وكما تصرّخ المغزى، صرخت، في سرّي عليك

أفسدت غلمتي،

أفسد الله عليك ثيابك..

ثعابين رقطاع، في منامي

ثيرانٌ وخيول.

1989

بقايا السفرجل

- توطئة -

- سيمضي وقتٌ طويلٌ كي أطمئنَ إليكَ

أيها التغلبيُّ الصَّعبُ

ولن يكفيك مني قتلُ أخي

وبرصُ شياهي -

الجنوبُ تغالبةً من بكرُ

تميميونَ من قمحٍ ولبن

سفائنُ على ذمّةِ الليلِ..

وشراعُ لا يميلُ مع الرياحِ،

ولا تشبههُ المنايا..

هودجُ أخضرُ القلبِ

وحوافرُ خيلٍ محبّين.

رزيةُ الموتِ الخالدة، واكتمالُ الأسي

الذكرى الألفُ للنحيبِ،

ورعيلُ الفتيانِ الأولِ

السَّفرجلُ غالبٌ عليهم.

والتوتُ، بحمرتهِ غالبُ

وأزاميلُ التُّورِ تبوحُ، وغالبةٌ.

أقاموا للسنابكِ أضرحةً، وتغيّأوا الرماحَ
طعنوا خيلَ الخليفةِ ذاتَ يومٍ،
فزادهم اللهُ أنهاراً وشمساً

* * *

لِيُنْهَ جباهُهم على الأرضِ
رطوبةً أفواهُهم من القبلِ
تواصوا بالموتينِ
كلُّما تواصوا بالحياةِ..
وعلى الوسائدِ الغبراءِ الكالحةِ
أُتْضِيَ الليلُ ركبهم وأكفهم،
وإذا ذكرَ الناسُ للقرشيينَ مجدّاً
تتصبَّبُ ألسنتُهم دماً وغبطةً،
ولهم على السِّباحِ بابٌ
لا تفتحهُ شمسُ الحجازِ

* * *

الرواةُ الأشاعرةُ من الأزدي
يفتحونَ المصاحفَ، كلَّ يومٍ
متحرِّينَ أسبابَ النزولِ، وغلطةَ الخليفةِ
ولهم على الصعيديِّ الأسودِ هذا

ثلاثة عشر مُناخاً لا تبرحها الأسود.

* * *

قدريونَ وجبريونَ منذُ الأزل
فرقتهمُ الأنهارُ والسيوفُ،
وجمعتهم المدافن.

* * *

زارعو الغضى
وجالبوهُ من يثرب، أنصارُ من الخرج
ضيّعوا إرثاً في السَّقيفةِ،
وجاءوا بلا خيول،
وحيّن صفحَ الخليفةُ عن الناسِ
وإفاءَ عليهم رضياً وزينةً،
اقتطع لهم في سِيحانٍ (9) نهراً
وقفيزين (10) من فاكهةٍ وظل.

* * *

البحارنةُ (1) من نهر خوز (2) نواخذةً مهرة

ومربو نعاج...

هزّاسون وحلوا نيون،

جاء بهم الماءُ، فانسوا اليابسة...

سكنوا البطائحَ البعيدةَ
وزرعوا على شبابيكمهم اليقطينَ
وقفَ الموتُ على قلوبهم
فعلّموهُ الحياءَ.
دجّنوا الشّمسَ، ورؤّضوا الأنهارَ،
تفكّوها في التّكاحِ والقُبُلِ،
واباحوا لعيونهم، ما تُصيبُ من الدمعِ والجمالِ..
ما زالوا على الحزنِ ظاهرينَ،
لا يقربُ الفرخُ داراً لهم
وحين أسقطَ السؤالُ نواجذهم
اخترعوا البكاءَ.

* * *

كنعانيونَ من شجنِ وصخورِ،
عمائمُ دائمةُ الزهوِّ..
لم تسقطها السياطُ، ولا الرياحُ
على أفئدتهم البحرُ هائجُ
ووديعُ..
ورثوا الطينَ وغاباتِ التّخلِ
وادمنوا النساءَ..

أقمارهم في المرافئِ صفراءُ وشائخةُ
وبغضاؤهم ميتةُ.

في ثيابهم طرايبشُ المطر
وأسماءُ النجوم.

* * *

بكلِّ ما لديهم من عُصُونٍ انتظروا
فما من سفينةٍ، في الماءِ
إلا وكانت على يا بستيهم
لقد هدّوا آمالهم صبراً...

* * *

فجرُّ واحدٌ يكفي لرحيلهم
قواربُ للصَّيد،
وجنائبُ للتمرِ والبطيخِ...
وعشّارياتُ⁽¹¹⁾ للغرام.
والقراصنةُ زبائنُ دائمون،
برتغاليونَ أشدّاءَ
يأتونَ بالزيتِ والسلاح،
في صدورهم قلوبٌ ليستُ للهزيمة،
وعلى أقدامهم زبدُ الظُّلمات

وسواءً، أدخلتِ الشَّمْسُ في السُّنْبِلَةِ (12)

أم صارَ البدرُ في الحوتِ (13)

بحرٌ واحدٌ لهم الليلُ،

والصبحُ سفينةٌ بيضاءٌ للرجوعِ.

* * *

صفرِيون (14) وازارقة (15) قبلَ اخضرارِ النخلِ

وبعدَ اصفرارِ الرحيلِ،

طافيةٌ أبدأئهم في الهجيرِ..

تختموا بالعقيقِ..

وأعدوا للضنى شحوباً كافياً

وما الكافورُ في أسرَّتْهم

إلا للوداعِ والصبرِ.

لكنهم، اختلفوا مع الناسِ في الطَّوافِ والهجرِ.

ما زالوا يسيرونَ في الليلِ

حتى انصدعَ النَّهارِ.

* * *

حَمْدَانِيُونَ (16) من أبي الخصبِ (17)

وخصيبيونَ من حَمْدانِ، زارعو حراپِ

وقاطفو حروپِ،

أَصْلَابٌ مَتَفَخِذَةٌ مِنْ نَجْدِ الْأُولَى.

سَيُوفُهُمْ مِنْ بَدْرٍ

وَهُوَ أَدْجُهُمْ مِنْ صِقِّينَ..

إِبَاضِيُونَ⁽¹⁸⁾ مِنْ أَقْصَى الْمَاءِ

حَنَابِلَةٌ، شَافِعِيُونَ وَمَرَجِيَّةٌ⁽¹⁹⁾..

هَيَّأُوا لِلْحَكْمَةِ الْمَنَافِذَ

وَعَلَّمُوا النَّاسَ الشَّبَهَاتِ.

* * *

تَفَنَّنُوا فِي غَرَسِ الْكُرُومِ وَرِيِّ الْقُلُوبِ

وَتَحَتَّ الْقِبَابِ الْحُضْرِ

كَانُوا يَلْقَتُونَ أَبْنَاءَهُمْ الصَّحِيفَةَ (1) فِي أَيْدِيهِمْ أَنْبَاطُ الْيَقِينِ..

اِخْتَلَفُوا أَنْهَارًا

وَاتَّفَقُوا دَمْعًا وَخُزَامَى..

وَفِي الصَّبَاحَاتِ الْحَرَّةِ الْبَيْضِ،

يَوْمَ انْتَصَارِ الْيَعَاسِيْبِ..

وَطَأُوا الْمَنَابِرَ لِبَعْضِهِمْ، وَتَقَاسَمُوا

الْعِنَاقَ وَالطَّبِيخَ.

* * *

الْخَزَاعِلُ الْكَعْبِيُّونَ⁽²⁰⁾ أَسْيَادُ عَلَى الْأَرْضَيْنِ

ورثوا مُلكاً، جاءت الخيلُ به
وسيقَتْ لهمُ الرقابُ والدَّواب.

* * *

تعلّموا القتلَ في ستةِ أيامٍ
وفي ستةِ أعوامٍ تعلّموا الهزيمة.
على الرماحِ الكاسيةِ⁽²¹⁾ الطويلة
أقاموا مملكةً جائرة.
وأزاحوا خضراءِ النَّاسِ عن يابستهم
ها، قد أحكمَ النصرُ أقفالَهُ
وأدَمَتِ النفوسُ بعدَ بياضها
هذه الأكفُّ تغطي وجدانَ الثرى.

* * *

يا شيخنا.. يا أبا عُثمان
أيها البَحْرُ الجاحظُ: هل يقوى البيانُ
على صرفِ ما لا ينصرفُ
من الزمان؟

1991

إلى ما هو أبهى

أمطارُ حزينَةٌ في الطريقِ إلى الفجر

وعلى سورِ الحديقةِ زجاجُ جارح.

ذئبٌ محشوٌّ قِشاً

يبتاعُها الصَّبيُّ في موسمِ الحصاد

وعلى الأعمدةِ المتراصَّةِ

سعادينُ محتطَّةٌ،

تهشُّ في وجوهِ الزائرين

فيما، الورْدُ عفيفاً تحملهُ الصَّبايا

واخضرَ على وسائدِ الصُّيوفِ..

لا يشي بخطوةٍ أحدٍ

ولحمرتهِ المُبكرَّةِ أسبابٌ كثيرةٌ..

وفي حبلِ الموسلينِ

يُرشدونك إلى ما هو أبهى...

فلا تدعِ الجلنارَ، يُسئُ الظنَّ بكَ

حتى وإنْ كانَ وقتُك من ذهبٍ.

لا وقتَ للطرفاتِ، كي تمنحكِ وروداً آخرَ

إذ الشرفاتُ كلُّها للياسمينِ..

والآسُ، لا يكفي نُزهةً يومٍ واحدٍ

وكما المساءاتِ حزينة
يفكرُ الصَّنوبُرُ بوحدتهِ قبلَ العاصفةِ
فلا تحملِ القواريرَ
أعلى من بهجتِكَ أيُّها الصَّبِيّ
شمعداناتٍ، سيكسُرُها طواقُك الناحل
ولي معكَ، حكايةٌ أخرى
قميصُك، أيُّ أختٍ لك، كانت ترتديه
من أينَ جنُّما بالزَّهرِ، على أكمامه؟

* * *

نساءً، من خزفٍ باردٍ
يومئذٍ، أنْ أجلسوا.. للطائفين
وعلى أكتافهنَّ ندْمُ الأزاميلِ
أسلمنَّ خصورهنَّ لنا
والسماءُ تَمُرُّ خفيضةً
على الخدوشِ، التي تُحدثُها الألسنُ.
وكملاكٍ أشهبِ العينينِ
كانَ عصفورُ القصبِ
ينقرُّ حَبَّةَ الضوءِ المألحةِ.

* * *

علبُ فارغةٌ، مخاطةٌ بالمعاني
تُفرغُ الثعالبَ النائمةَ في المقاعد
وحيثَ يبدو لك ضجيجُها مملأً
أغفرُ لها، ستعطيك شتاءً رائعاً
وأنتى كنتِ، ستحرركِ الخمرُ من وحدتك

* * *

ستقول لا وردَ، عندي لأحدٍ
لكنُ لا احدَ للوردِ..
ومهما يبدو لك المكانُ عتيقاً
لا تثقُ بكآبةِ الحجرِ،
ولا تحملِ السقوفَ على حزنها
ولا فؤادَ البابِ المحطّمِ،
ولا النافذةِ،
كلّهم يكذبون..
في الأباريقِ فرحٌ لا يُصدّق.

* * *

منازلُ القصبِ
تهزُّ نسائمها، مأخوذةً بكِ،
وأنتِ تمرُّ بالديوكِ المعمّرةِ، على الحيطان

مهيباً وتفتديك الغصونُ.

قاصداً الخلود...

قلْ لحمايمه يكفي مَرِحاً،

يكفي نديّ وخزامي

هذا الجمالُ لا أطيعه.

* * *

الباحثُ وسيعاتُ للرّقصِ والغدر

والنساءُ على السّلامِ مثنى مثنى..

أنا أطلقتُ يدي

كي اقتني كثيراً

ولديّ من الشجنِ ما يكفيني في الغدا!

* * *

زغبُ ليالٍ باردةٍ على سريري

وبُقيا طفولة...

ولي صبيّةٌ لا تبخل عليّ بالقبل.

فرحٌ لا يصدّقُ في وجنتها

ويطيبُ لي أن أُحْتَبَّ

عن تنورتها الوحلِ والحاسدين،

منتظراً أن تدخل عليّ يوماً

وتحت قميصها أرنبان أبيضان.

* * *

امرأة الوقتِ

تمنحُ رقصتها قصةً كاذبةً..

والأيامُ تسقطُ في رداءِ التَّومِ

وبين إنطفاءٍ وأخرى

كانت تعيدُ هندامَ السَّوسنِ

تردُّ على لا مبالاةِ النورِ

أيتها الذكرى :

دعيني أسمعُك

أغنيةً من الندمِ.

1990

على أريكة من شجن
أدُنْ خريفاً، أدُنْ صحارى
أدُنْ خمراً أو طفولة..
لأقول لك: كم كنت بعيداً
كم كنت قفراً وعوسجاً..

* * *

أدُنْ أكثر، لبيتهم ثوبك بذكرى ثوبي
لأقول لك ما لم يقله الماء للماء
ما تترددُ الرِّيحُ في قوله
وتجهله المرايا،
وما ليسَ في حَلْدِ النار.

** * *

لأقول لك: إنَّ النوافذَ التي تركتها
نوافذُ من خشبٍ ودمع،
إنَّ الشوارعَ من قارٍ وغياب
أنَّ الحدائقَ أرائكُ من شجن
إنَّ فماً، خلف أذني
يصرخُ بك أنْ تعال،
وحين تفيضُ من سُكَّرِكَ وغبطتك

إجعلُ طريقَكَ فينا
إجعلنا في بعضِ رحلكِ
أو في صُفرةِ متاعِكَ، إنْ كانَ لكَ متاع
قلْ لشيأهِكَ أنْ تمرَّ بدارنا
مسنينا بالخير...
اذكرنا في سجودِكَ
نذكركَ في دعائنا، بين العِشائين.

* * *

هذا جسدي، صنيعُكَ، أو بعضُ صنيعِكَ
وأنا استخلفكَ على شَعْرِي
على ثيابي، وأمطاري، وحرزني
على أكبرِ الحَبَّاتِ، في قِلاذتي
استخلفكَ على صُفرةِ أساوري
وابيضاضِ اللحمِ، تحت خاتمي.

* * *

سمكُكَ التي تلبطُ في فراشِكَ، كلَّ ليلة
أمُّكَ وابنةُ أمِّكَ
وصفيتُكَ على جواريكِ
نخلتُكَ، التي تهزُّها إذا جِعتِ

وتحرقُ صَبْرَها في الشتاء
رفيقتكَ في النَّهارِ،
وخليلتكَ في الليلِ.
وسادُتُكَ التي تغفو عليها
وجرْحُكَ القديمِ.

* * *

تفياثُ لكَ وأنا خُصْراءُ
وتفياثُ لكَ يابسةً.
كنتَ تستحُمُّ بفضلةِ مائي
وأسيغُ وضوئي بفضلةِ مائكِ..
مئزرنا واحد.
ومراتنا واحدة.
ما زلتَ على ذلكَ التُّورِ
الذي أطلعتكَ فيه على جسدي
وبتلكَ الحنايا ادْعُوكِ
أَنْ ادخلُ السرورَ على هذا الثرى
ولتخفقَ قدماكَ بهِ.

* * *

ألأَنَّ أضلعكَ خيزران صيرتني ندماً؟

لكن، حين لامسَ خِصْرَكَ حِقْوِي
اصابني ما يُصِيبُ الأترجَّةُ من المطر
إزلزلتِ الأرضُ بي.
وما أنْ دعكتَ براعمي بزُبدك
تغشَّى جسدي طلعٌ ونبيد،
فأردتُ منكَ ما في نفسِ الأَمَّةِ من سيِّدها
لكنكَ إشاغلتَ عني بإحدى بقراتِك
فأدنيتَ ماءها
ومسحتَ على مهناً الصُّلبِ في بطنِها..
أهكذا تفعلونَ بضُغفائِكُم؟

* * *

ترى مَنْ أصطحبُ لهذا الليلِ؟
وكلُّ خشبةٍ في سريري تسألني عنك.
لأنَّ أتيتَ لأفرشنَّ سعفاً لكَ الأرضَ
ولأملطنَ قوادِمَ فرسكَ آسأً وزعتراً.
في أي قميصٍ سأعثُرُ على ذراعِك
أنا جسدٌ تمرِّقهُ الرغبات
روح ينهشُها الشَّجنُ.

* * *

في البدء، كان الفحولة
ومن الفحولة اخضراؤ الجسد
وابتداؤ الفاحشة..
واستباق التّساء إلى خدورهن
والفحولة، قيامة الطين
ورنين الأبدية...
وكما للعشب وقت أخضر للموت
كذلك وقت لأصفرار الروح..

* * *

وها أنا، أعيد للطين بهاء أنوثته
أبتكر فيه طرقاتاً، للذائذ،
أنفاقاً، للذكرى
أتهجى الأصابع، التي نحتت كبرياءه
وطهره.
أردت أن أأخي بين الطعنات
أن يفرح الجسد بأنوثته..
أن يبتهج الماء بعبوره على الماء.
أن لا تشعر الأرائك بوحدتها
أن يكشف الآس

عن سرِّ احتفاله الأزلِيّ..
لهذا، جئتُك، في أولِّ يومٍ من صبايَ،
فرحةً، بوردتي الأولى
بوريقاتها الحمر، التي لطّخت قميصَ نومي
بكفي المليئة بالرزّ..
وأساوري الشّاحبات...
ليلةً بكى القمرُ في حُجري
وقفْتُ، بين ذراعيك، حتى آخر النجوم
لا إزار عليّ سوى عينيك
ولا أعرفُ عن جسدي إلا ما علمتني
ولا أفقه من القُبَلِ إلا ما تضعهُ في شفّتي
في هذه الليلة البعيدة عن الشجر
أحتسبُ الجسدَ يسوعاً على صليبك
أتقول شيئاً في هذا القرنفل؟

* * *

لكنّكَ دائماً،
تأتي في صُحى الأيام..
أو في خريفها البارد
نصفُك قمرٌ، ونصفُك ثورٌ

غصنٌ بينَ غصنينِ،
فأنتَ أنضُرُ الثلاثةِ..
وأكثرُها مَيساً وعطرا.

* * *

على ثيابِك أشعارِك، ونساؤِك، وحمائِك
وكأَيِّ من جواريكَ، هممتُ بكَ
لا أعرفُ كيف أضُمَّك لي
وقد نبتَ كوَعُك في بطني
فصرْتُ بلونِ الكفنِ، حبّاً وهلعاً
أكنتَ تستفرغُ النساءِ،
وتدوسُ على أضلعِ الحجرِ.
فلا يؤلمك الحجر
لا يبدؤك الفجر
ولا ينتهيكَ الألم.
خفاكَ خمُرُ ونساءِ.
وأمانيكَ نافقهُ..
يا كثيرَ المَنِّ
ويا قليلَ الحياءِ،
ألم أحثُّ الماءَ على رأسِك؟

ألم تحتَّ على رأسي الماء؟
أما تركتني في مُستحمِّكَ،
أما تركتكَ في مُستحمِّي؟
كم أَرعبتَ قطاتي؟
إذ كانَ عُصفورُك يأنسُ عندي؟

* * *

أخِرُ طيبي أنتَ،
وأوَّلُ طيبي الماء.
كنتَ أطعمتني في زفاسيَ تمرّاً
وها أنذي، أطعمُكَ عناقاً وصبيبة.

1992

منتصف الرماد
أكتفي من يدكِ بهذا الخلود
فليأتِ على كماءِ الروح.. يوقظها
سأقوُدُ ظِلالةً في الليل،
حتى منتصفِ الرَّماد..
ليس من أجلِ نُزهته
يهرم الماعزُ في خاصرة الهضبة
مفتوناً، أقفُ،
أدفعُ الصحراءَ عن غابتي
لا أدخُرُ ناقوساً،
بل الهديان!

* * *

تحت نافذتي
يجلسُ المجنونُ، يقرضُ يومه
والسادةُ الرعاةُ في ثيابه، الرعاةُ المحبُّون
أين أتركُ ناصيتي الليلة؟

* * *

النشورُ، النشورُ....
النشورُ، كان علي،

لم أدرك الموتَ، الذي رحل
وحيثَ أفقْتُ، وجدتُ يداي تعبثانِ بالماءِ،
وناراً على السُّلمِ،
شمساً متمرسَةً، في أخضرِ الآجرِ،
كنتُ أصدُّ بالحجرِ إلى عرشها
من أشعلَ في السلاالم النار
من أودى بربيعِ هذهِ الأسماءِ؟

* * *

سفنٌ في شمسِ الظهيرةِ
سفنٌ في الروحِ..
سفنٌ، أقصى من يدي، خلفَ الإناءِ.

* * *

دنوتُ من الرَّمَلِ
وهذهِ آخرُ الأرائكِ
أخرجني من سروركِ بي
وتعالِ أيها التبعِ.
عندي مزيدٌ من الطفولةِ.
تعالِ أيُّها المجنونِ..
سأفتحُ نافذتي الليلةَ

والقي لك بالمراعي.

* * *

أليَّ ياشفةً التَّارنج،
أيتها الحماقاتُ، أيتها الفؤوس
يا آخر الصبايا.

* * *

ما جنحتُ قواربُنا بعدُ،
ولم نَعْمُ، بعدُ فُرادي
مزيداً من الثلجِ، من أجلِ بغضائنا الميته.
مزيداً من الزُّهور لأضرحة الغائبين.
ذلك المعنى لا يُفصحُ
وهذه الطمأنينةُ تخبُّ ثعبانها...
على هذه الأريكة،
أطعني أيُّها العشبُ بخضرتك الوردية.

* * *

النشورُ، الذي نسيت
غضبُ الكترا، أو انُ العمى،
قفا سحابة..
كؤمنا الثيابَ على الرمل

كؤمنا الصِّبا على الثياب
والبحرُ نشيخُ ضباع
البحرُ ابنُ ضفادعه، في ثيابنا يزحفُ،
أين نخبئُ شمسنا؟
والى بطنِ أيِّ حوتٍ، حاملٍ يأخذونَ قمرَ الليلة؟
أينَ نودعُ ضفائرَ آمالنا؟
وجناحا طائرٍ على كفنِ المغيب،
يا أبغضَ المنافي: خذيني إلى تريباقٍ أكثر،
أكثرَ شحوبا وندما.

* * *

فوق الماءِ الماءِ..
والكلُّ، في تفردِ الجسد
سماءُ ما، في حُمرَةِ الشفق
وفي الغروبِ مناجلُ..

* * *

من شاهقٍ،
ومن يدينِ قمحيتين،
اندلقتُ طفولتي، في قعرِ هلال
فوقفتُ، حتى امتلأَ الهلالُ بي

وقفْتُ كي أبدو رائعا
أنا قبلَ النشور،
أنا بعدَ النشور..
من جدولٍ في راحتي
خرجتُ على طاعةِ المرعي
ودعوتُ شياهي بأسمائها.

1985

الذرائع

بالطفولة تذرّنا
حين مضتْ بين دفاترنا
عصا المُعلمين..
وتذرّنا بعصرٍ مذهبٍ، خلفَ السّياج
حين أصغينا لهم..
رسمنا العيونَ والأذنانَ
على لوحٍ معتمٍ..
فأخفينا حلماً في الثياب
وآخرَ على بعضنا

* * *

وتذرنا بحبيبةٍ في القلب
حين أرادونا عشّاقاً، على المسرح
ولما إحمّر في وجناتنا الخوخُ
تذرّنا بريحِ الصّباح
وبصفعةِ الأخِ الأكبر.

* * *

وتذرنا بالطرقات
حين توزعت القبل

وبالثياب حين تعرّى الغيم
وبالبيت حين ضاقت الشوارع
وبالجيوب المثقبة
تذرعنا
حين شحّت النقودُ
وطردنا الأهلُ

* * *

ولما صرنا نكبر
وأصبح لكلُّ منّا قامته الخاصّة
وقمصانه الخاصّة
وحبيبه الخاصّة
وحلمه الخاص
جاءت الحربُ، وقد أهملت
الذرائع كلّها.

1984

خيوله على الأديم
السراجُ إكترى مُهرأً
وفي بضعة أيامٍ، تعلّم الركوبَ
لكنه،
كلما شدَّ سرجاً، أنكره
حتى اهتدى إلى سرجه، هذا
ولما اطمأنَّ إلى هيئتهِ
وأحسنَّ بجلالِ الصُّهوةِ
وفضليِّ الراكبِ على الراجلِ
نسي أنه سراجُ
أصابُعه من ذهبِ
وخيوله على الأديم.

1988

غبطة

دائماً..

حين تكونُ وحدك،

جالسا على أريكة، في المتنزه العام

ساقك فوق ساقك الأخرى

ويدك مثنيةً تحت ذقنك

شاخصاً ببصرك، نحو الأفق الفسيح

تفكّر بمصوّر، بارِعٍ

يخلدُ غبطتك هذي.

1988

الاسئلة

كم من الرؤى

في حقيقة واحدة؟

كم يراد من النجوم

لتغيب الشمس إلى الأبد؟

بكم شقاء نردم البحر؟

الملوك، كم يريدون من التنكر

كي لا يكونوا ملوكا..؟

بكم عناق تفي الضلوع بمودتها؟

لأي فجر أسود

اختفت النوارس؟

الندى كم يريد من الغصون

ليوهم الزجاج؟

وكم يراد من المأذنة

أن تنال من السماء؟

كم نريد من الأطفال

كي نستغني عن الحدائق؟

كم يراد من الشجر

كي تحتفظ العصافير بأعشاشها؟

كم نريد من الثياب
كي نستتر عري أرواحنا؟
أما تعبت الشمس من الفجر
أما انطفأ القمر؟
كم أريد من الكلمات
كي لا أتحدث إليك
حين نجلس معا؟
الأعمدة هل ستبقى واقفة، هكذا
وإذا ما جلست يوماً
من سيمسك بالمصاييح عنها؟
ألم يحن موسم جني النور؟
ماذا يريد العشاق من الليل؟
كم أريد من العيون
حتى لا أراك؟
الزرقة كم تريد من بحر عينيك
لقمحة عيني؟
الصحراء كم تريد من العُريِّ
كي تبقى صحراء؟
والدماء كم تشبثت بالعصي
كي لا تصبح بنادق

الحجارة كم رفضت
حين أرادوها سجننا؟
المعاول كم كانت ستفرح
لو أنها ما خلقت معاول؟
أما آن للأقفال
أن تصبح أساور؟
المداخن كم هي حزينة؟
الشوارع المظلمة
للقتلى المجهولين
والأسيجة للصوص
بكم شتاء
كفنت عمرك أيها الغريب؟
هل من عباءة
لهذا الثرى الحزين؟
المحبّون كم يريدون من الشفاه
كي لا تنفد القبل؟
كم نريد من التعرّي
كي نتعرف على بعضنا؟
وكم نريد من العيون
كي لا ننظر إلى الورااء؟

ألهذه الطرقات ادخرت جنوني؟
الشواطئ كم تريد من الموج
كي تبقى على صلة بالبحر؟
والثياب كم تريد من الأزرار
كي نخفي بها من نحبهم؟
المقابر ماذا تريد منا؟
ولماذا لا يترث الموت؟
وكم ثقبنا نحتاج
لنمرر عليه سعة العالم؟؟

1979

الخِزَّافُونَ

يخلفون بهاءهم وبرحلون،

تاركين على المعاولِ

ذكرى قبضاتهم..

وفي السنادين، أسرارهم وسجايهم

وعصرا خالدًا من فحولة وضغائن

تسفهة العربات.

لقد أخذت الغربية مؤنسيها

وأستعمل الموت نصّاحه

وها قد لفظ الأفق

طائفة من حمرة على الأرض

وأثبت فؤاده على الشرفات.

* * *

في البيت نخلة، تتفقّد فسائلها

سرّاً، فلا تجدها،

وفي الصباحِ

يغيّبها الجندُ في الشاحنة -

* * *

الخِزَّافُونَ، رحلوا أولَ الفجرِ

كَأَنَّ لَا أَمْسَ لِيَوْمِهِمْ
وَلَا نَادَى عَلَيْهِمُ الطَّلَعُ
وَلَا اسْتَوْقَفْتَهُمُ الخَزَامَى
وَلَا تَعْلُقُ بِأَقْدَامِهِمُ العُشْبَ.

* * *

كُلُّ اخْضِرَارٍ هُنَا، رَوْحُ
بَلْ كُلُّ سَائِحٍ هُنَا، دَمٌ
وَكُلُّ هَبْوَبٍ فَجِيعَةٌ..
لَقَدْ أَحَاطَتِ السَّرْفَاتُ بِهِمْ
كَانَ يَحِيطُ بِهِمُ النُّخْلُ
وَيَتَسَوَّرُهُمُ النِّسِيمُ.

* * *

عَاطِلُونَ عَنِ التَّدَمِّ،
عَاطِلُونَ عَنِ الحَفِيفِ..
القَصْبُ أَخْلَدُ المِزَامِيرَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَهَذَا التَّوْتُ، خَمْرَةُ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ
إِذْ الخَلْقُ كُلُّهَا فِي الرَّمْلِ.

* * *

ابتنى التاريخ دارهم

فكانوا آجَرَه ومِلاطَه
وكانوا فراتَه، وفرطَه على الحُسن
أسعدُ أحلامِهِم الموتُ
ومشكاتِهِم الصَّبْر...
لا تأمننَّ قاربكُ إلا في شواطئِهِم
أنتى أتيت..
فقد أصلحت المروءةُ الماءَ والنخل
وما الليل بموحش ولا بطيئ
وإن ترمدتُ الفوانيسُ
ودنى أنينُ الفجرِ.
نازلونَ من الرفيف
وصاعدونَ على لبابِ الربِّ
يتوسلونَ الغيمَ،
يدَ اللّهِ، قديمَةَ الهطلان

* * *

أخلقَ الدعاءُ أكفهِم
واتلفَ روحِهِم الصَّبْرُ.
كثيرونَ تحت السيوف
كثيرونَ تحت المناير

كثيرون في المقابر..
أسكرتهم خمرة التذلل
وقد جربوا الدُّهور.
انفجرت عنهم جنائن المعنى
فصاروا شعار الأرض ودثارها

* * *

أسماءهم على الأسيجة الوطيئة
وكلما أوغلَ الخزفُ في القدم
أوغلوا في الحياة.
يبدأون بك حين تكون تراباً
وحين تكون ألماً
ينحتون دموعك وصبرك
وها قد أوسعوا الليل ثغوراً

* * *

هل تسكنُ وحدك هذا الجسد
هل تملكُ أن تأتي وتروح
هل ترجع من ذكرى؟
أم تفلت من تابوت؟
هل يؤويك الماضي، إذا ما عدت من الحاضر

وقد صيرك الوقتُ ندماً؟
خذ النهار كله إلى الليل
هم يأتون ليلاً...
بلا بنادق، وغير ملثمين
وقد أفرعتهم
شاحنة الرز في الطريق.
كان الخزافون فزعين طيلة النهار
وبلا رز، ولا سمن، عادوا.
ستمزُّ الجنائبُ خائنة العبيد
وسخة الأشرعة..
وسيتحدثُ الناسُ طويلاً
عن خزافين ماتوا من الخجل.
فيا هذا، وأنت تترك المدينة
دع أبوابها مُواربةً..
(باب سليمان، باب ميدان
باب طویل، باب الهوى
باب الندم)
وحدي سأحتفل الليلة بذكرى أقفالها
وخازني بهائها.
أولئك الذين شقُّوا الأرضَ

نصفين،

وجعلوا للفخر يميناً وشمالاً.

كانوا نحيباً غامضاً

فتشتتوا..

وكانوا يقيناً أخضر الفؤاد فماتوا..

الألمُ يبتكر غياباً

والشبابيكُ تقترح آساً

لُطلَّ على العشب، الذي يغيّر بهجته

كلَّ مساء.

لكنهم، مع اختفاءِ النهارات

وأمحاءِ المواسم

وسقوطِ الحكمةِ الأخير

يرحلون...

تاركين الشمسَ غريبةً على الشرفات

بلا خزنةٍ، ولا محبين.

النور، الذي لا يمل

والأرانبَ البيض، التي ترعى الظلَّ

وهو يهرمُ، أسفلَ السُّلم

وأصصَ الزهر، يفيضُ على انزوائها

سكونٌ موحشٌ.

أَكَانَ لِلسَّرِيرِ طَعْمٌ آخَرَ، غَيْرَ المَوْتِ؟
أَكَانَ فِي الخَشَبِ كُلِّ هَذَا الخُلُودُ؟
بِالْجَنُونِ، أَكْمَلُ يَوْمَكَ
وَبِالْجَنُونِ أَيْضاً، أَكْمَلُ زَجَاجَ الكُونِ
بِمَا يَلِيقُ بِصَدْرِكَ مِنْ حَطَامِ
فِي القَارِبِ، الَّذِي تَتَفْسَخُ أَضْلَاغُهُ
عَلَى الشَّاطِئِ، ثَمَّةٌ مِنْ يَبِكِيكَ، الْآنَ
ثَمَّةٌ مِنْ أَلْمَةِ أَعْتَى مِنَ المَلِكِ، بِكثِيرِ
ثَمَّةٌ مِنْ يَبْمَرِّقِ الحَرَسِ
عَلَى صَدْرِهِ ثِيَابَ أَبِيهِ.

* * *

أَكْمَلُ شَحُوبَكَ، بِمَا ظَلُّ فِي ذِرَاعِكَ مِنْ يَقِينِ
أَوْسَعَهَا ثَغُوراً، صَفْحَةَ الكِتَابِ الخَامِسَةِ
خَذُ مِنْ خِرَائِبِهَا أَيَادِي وَصَفِّقْ
فَالأَرْضُ، هَذِهِ بَاهِضَةُ السُّكُونِ.

1993

حرب أخي

قم أخي، لقد انتهت الحربُ
واخذوا دبابتك إلى مصهر الحديد
لكنّ بندقيتك، ما زالت على الجبل
وها قد أتت الرمال على بسالتك أخيراً.

* * *

الفلاح يزرع حقله، الذي سقطت فيه
لأن الأشجار التي زرعها أنت
ماتت أيضاً...
أما الجبل الذي آليت
ألاّ تبارحه حيّاً
تدفع الأعداءُ إلى قمته
وانزلوا من ثلوجه
رايتك الصابرة.

* * *

في كلِّ مرةٍ،
قبل سقوطك الأخير
يسلبُ الأعداءُ بدلتك،
وحرايك، وبهائك..

ومهما كنت مَيْتاً، يا أخي
كانوا يفتنونَ جثتك بالرصاص
وحتى في ميّتك الأخيرة،
حين كان الدود يسقط من محجريك
وفتحة فؤاد الكبير
كانوا يظنونك تكذب
وانك ما زلت كابوسهم المستمر.

* * *

قم، يا أخي: لقد انتهت الحرب
وها قد تسوّر الأطفالُ الحديقة
والكراتِ التي كنت تراها
من نارٍ ومعدن،
بردتْ، ها هم يتقاذفونها
بين أقدامهم
إلا الكرة التي سقطتَ قريبها
تلك التي أحالت جسدك رفيفاً.

* * *

نحن، هنا، في القرية
بلا حربٍ، ولا أعداء

أفقٌ من هزاراتٍ ويمامٍ ضئيلٍ
يتشكّلُ تواءً، تحت وسائدنا
نحزُّ نسينا بعض جراحنا
وقد نطعمُ خناجرنا شيئاً من بغضاءنا
القديمة...

لكنّ، جُلَّ ما نريده
أنْ لا تنبح كلابنا إلاّ ضعيفاً.

* * *

أمّمي، ما زالت في فراشها
أحدّتها عن طولك، وعضدك القويّة
ويُطربها كثيراً
انهم، لم يجدوا حذاءً، على مقاسك
كانت تسألني:

على أيّ جنبيك كنت تنام؟

أوحشني أن أقول لها:

إنك لم تنم منذ أعوام سبعة!!!

وإنّ الشظيّة، التي هسّمت أضلاعك

كانت من مدفعٍ ماردي، وقوي

وقد فركت فتوتك كلّها

وإني تركتُ الشمسَ
تغربُ على أسمائِك وأحلامِك
وأني ضننتُ على جسدي النثار
الذي صرته...
وإن المسافةَ بين حياتِك
وموتِك ستة أطفال.

1993

الهوامش

- (1) السويق: التمر بالطحين. طعام فقير جداً
- (2) السلوفان: ورق تغليف
- (3) مرادي: جمع مردي: عصا طويلة للتجذيف
- (4) عبارة شكسبير، بتصرف
- (5) الجريد: سعف النخيل منزوع الخوص
- (6) الورشن: معدن، يشبه الالمنيوم
- (7) سميريات: نوع من السفن القديمة
- (8) حديث شريف
- (9) سيحان: قرية جنوب البصرة
- (10) قفيزين: مفردها قفيز. وحدة قياس مساحة قديمة
- (11) عشاريات: قوارب سياحية قديمة في البصرة
- (12) توقيتات قديمة
- (13) توقيتات قديمة
- (14) من الفرق الاسلامية
- (15) من الفرق الاسلامية
- (16) حمدانيون: نسبة الى قرية حمدان
- (17) خصيبون: نسبة الى ابي الخصيب
- (18) اباضيون ومرجئة من فرق الخوارج
- (19) اباضيون ومرجئة من فرق الخوارج
- (20) قبيلة كعب التي منها الشيخ خزعل
- (21) الكاسية: كان الشيخ خزعل يكنى بأبي كاسب

الفهرس

- 7 سمّها مقدمة
- 11 تاريخ الأسى
- 19 ربيع العائلة
- 21 الهياكل المضيفة
- 27 شجن
- 29 أصدقاء
- 31 إمرؤ القيس
- 33 العشاء الأخير
- 43 أمي فاطمة وكتفي بيضاء
- 49 بقايا السفرجل
- 59 إلى ما هو أبهى
- 65 على أريكة من شجن
- 75 منتصف الرماد
- 81 الذرائع
- 83 خيوله على الأديم
- 84 غبطة
- 85 الاسئلة
- 91 الخزّافون
- 101 حرب أخي

سمّها مقدمة

يوم كان حاملُ جمر الحروف يُسرِعُ إلينا شعراً، عند كل صغيرة وكبيرة، ويوم كانت الروح تنشغل بقضية واحدة، لا غير، هي الشعر، كنتُ أحتفظ بين أصول السعف المقطوعة، أو في الفسائل المندثرة النائبة، وفي يافع النخل، بين الأنهار، في بستاننا، أقصى جنوب البصرة بقصاصات أوراق وأقلام فحم، هي مما أريده، ساعة أجدني بين جدِّي قصيدة، أو هكذا خيّل لي آنذاك، ففي مطالع حياة كل شاعر، هناك اعتقاد بأن كل حرف يخطه، كل بيت يسطره على ورقة هو شعر، لذا، كنت أترك مثل الحاجيات تلك بين السعف، أو أحشرها بين غصنين متعامدين، في شجرة توت، أو تحت عريشة عنب، أو مما كان يزرع ويسقي الأهل والأقربون.

وفي السنوات التي تلت، أو بعد ثلاثين سنة، كنت أجد بعضاً مما خربشتُ في تلكم الأيام. هي أوراق انحشرت بين السعف، ومثلها أخرى سقطت، وبللتها أمطار الشتاء المتعاقبة، أو أكلت أطرافها رطوبة الأرض، هكذا، وكلما هزّت ريح عابرة غصنا سقطت خطاطة، ورقة، وكلما انتفض عصفور سقطت أخرى، وكلما اقتربتُ من جذع خائف، سألته ما إذا كنت قد خبات بين كربه إحداهن. وفي حمّى ملاحقة السلطة لي، في تعقبها الذي طالَ ما كنتُ أحملُ وأقرأ، وأكتب، رحت ألقم أرض البستان الرحبية الكتبَ والدفاتر والصور والأوراق، وأدسُّ في جوفها ما كان سببا في تعقب الحكومة لي، صارت الأرض حبلَى بما قرأتُ وكتبْتُ وخِفْتُ منه، وفي كل عام، كنت أمّني النفس باستخراج ما استودعتُ، لكنّ الدولة برجالها وبنادقها ظلت ممسكة بمحاريث الأرض، تزرعها خوفا ورعبا وموتا.

لكنني، وفي الليالي المظلمة، مندثرة الأقمار، كنتُ أتسلل مثل لصٍّ إلى حيث دفنت الكتب والأوراق والصور تلك، وكثيرا ما كنت أخطئُ في الأمكنة، فأحفر في عاقر من الأرض، أو في يابس منها، لا يُنبِت إلا أخيلةً من حروف وظلال وتصاوير، ظلت تشحب في الزمن، وتراجع في الذاكرة، حتى صرْتُ أنسى. ضاعت عليّ مجاورة الأنهار واستوحشتُ يدي بعد مؤانسة بين النخل، امّحت خرائط كثيرة، كنت أستعين بها على الورقة هذه والكتاب ذاك.

حرث أخي الأكبر الفسحة التي ما زلتُ أعتقدُها مدفناً لما كتبْتُ وأسرت واستودعت، ومَرَّ الماء، نشيدَ ثمارٍ قادمةٍ في السواقي، التي احتفرها لزروعها، تفتقت حبة الفاصولياء، ومدت سقرجلة جذراً طويلاً هنا، وتمددت نبتة القرع بكراتها الصفراء الى حيث شاءت من الأرض، كذلك فعل أكثرُ من غصن، أكثرُ

من عصفور راح ينقر ما تناثر من حبّ وزهر. لكنني، ما زلت وبقدم وليّ أطأ
الرخو من التراب، أهبط مُصغياً لما قد يندفع بين أصابعي، لعل قصيدة ما
تستصرخني، وصورة من نديّ الأرض تلوح، غير أنني كنت أخذل دائماً.

أما وقد بيعت الأرض، واتسعت الشوارع وُردمت الأنهار، وبنى آخرون منازل
هنا وعنابر هناك.. يتوجب علي أن أعكفُ على جمع الخطاطات والأوراق
والصور تلك، أعيد نبش الأرض، التي ما زلت أظنها أمينة عليها، وسأظل أحفر
ثانية وثالثة، علني أجد ما أضعته في مواتها، وإن عثرت على بغيتي فيها،
فسيكون الوقت قليلاً على ترتيب أزميتها، لكنني أراني مضطراً الى الإصغاء
لوجيب روحي، لذا سأعمل على تشكيل الحروف والجمل والصور بحسب ما
يلزم، أجعل الورقة هذه الى تلك، والصورة تلك جوار القصيدة هذه، وأقرب ما
أمحي من التواريخ والأسماء، سؤاخي بين حشد الأوراق تلك. هكذا، سيقوم
من جوف الأرض كتاب جديد، كتاب يحكي قصة الشعر والقصاصات المهجورة
بين السعف وتحت الظلال. الآن أقول لكم بأن أكثر من قصيدة، في الكتاب
هذا (تاريخ الأسى) كانت مما استعدّته من التراب الرطب ذاك.

ط.ع.

21 نيسان 2019